المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 13 A آيار 2024
No.13A May 2024

# المقاصد الإلهية في اثبات وجود الله في ضوء القصص القرآني

ايمان عبدالله كريم
وزارة التربية / المديرية العامة لتربية واسط الكلية التربوية المفتوحة / مركز واسط الدراسي
imanabdullankarim@gmail.com

**الملخص**
تناول البحث على ثلاثة مطالب، تضمن المطلب الأول : المقاصد الالهية التوحيدية، وتضمن المطلب الثاني: المقاصد الإلهية بالتفكر في خلق الكون، وتضمن المطلب الثالث و المقاصد الإلهية بالتفكر في خلق الإنسان هدفت الدراسة إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض والأنفس الإيراد منه الإمخاطبة العقول والفطرة البشرية، ولفتهم إلى آيات قدرة الله وممكنه ودلائل وحدانيته .
**الكلمات المفتاحية** : المقاصد الإلهية ، اثبات وجود الله ، القصص القرآني

# Divine purposes in proving the exstence of God in the image of Quranic stories

Ministry of education/General directorate of education ,Wasit college of education Open /Wasit study center.
Eman Abid Al Kareem.

## Abstract

The reaserch dealt with three demands ,the first requirement included the divine monotheistic puposes, and the second requirement included :the divine purposes by contemplating .He created the universe ;and the third requirment included purposes divinity by contemplating the creation of man :the study aimed to consider the kingdom ofv the heavens : earth and the soul, with the aim of surrounding the minds and human instinct and to understand the verses of God , his wisdom,evidence and emptyness.

**Keywords** : Divine purposes ,Providing the existence of God ,Quranic stories

**المقدمة:**
إنّ من غايات القرآن الرئيسة وأهدافهِ العظيمة هي مقاصد الآيات وهدايتها التي تمثل أمارات ودلالات على حكمة الكتاب وميزانه وبرهانه وهيمنته، التي تثبت وجود الله بشكل عام ومن جانب آخر بشكل خاص، وإنّ القرآن الكريم هو العطاء الإلهي الخالد والبحر الزّاخر الذي لا تنقضي عجائبهُ ولا تنتهي غرائبهُ ظاهره أنيقٌ وباطنهُ عميقٌ حوى مقاصد كُبرى ومرامي عُظْمى.
انطوى الكتاب العزيز على أسمى الغايات والأهداف والأسرار وأسمى المقاصد الشرعيَّة تصريحاً أو تضميناً والتي تنبع من هَدي القرآن وموارد الكلام؛ من أجل فهم دقائق الكلام وغامض الأسرار ، وقد نصّت كثيرٌ من الآيات على المقاصد العامة والخاصة، قال تعالى ﴿ **يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (سورة يونس، 57)، فكل هذه الهدايات الواردة في النص المبارك وغيرها تمثل كليات الشريعة وعمدة الملة وينبوع الحكمة.
فالمقاصد القرآنية الكبرى هي المقاصد التي توصف بالجوهر والمحور ؛ بمعنى أنّها لا تخصّ مكلفاً دون آخر، إذ لا يتستثنى أحد في الدخول فيها، فهي مبادئ شاملة كاملة مثالية هدفها : جلبُ المصالح والمراشد والمحامد ودفعُ القبائح والرّذائل، ويسميها الطاهر بن عاشور بـ (المقاصد العالية)، و (المبادئ الشاملة) (التونسي، 1404ه- 1984م). (التونسي، 1432ه- 2011م)

وأشار الطاهر بن عاشور إلى أنّ المقاصد القرآنية الجامعة للقرآن سبعة، هي (التونسي، 1404ه-1984م)

١. إصلاح الاعتقاد وتعليم العَقْدِ الصحيح وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق، وهو مقصدٌ عظيمٌ ، لأنّه يُبعد الناسَ عن الإشراك والدَّهرانية وما بينهما .

٢. تهذيب الأخلاق واتّباع المحامدِ الحميدة والمراشدِ الجليلة.

3. التشريع وهو الأحكامُ خاصةٌ وعامَّةٌ.

٤. سياسة الأمَّة وصلاحُ الأمَّةِ وحفظُ نظامها كالإرشادِ والتهَّذيب.

5. القصصُ وأخبار الأمم السّالفة للتأسي بصالح أحوالهم.

٦. التعليمُ بما يناسبُ حالة عصر المخاطبين وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها، والدَّعوة إلى النظر والتفكر في خلق الكون.

٧. المواعظُ والإنذارُ والتحذيرُ والتبشير والترغيبُ والترهيبُ. ومن هنا يجب أن نعرف المقاصدُ.

**أولاً: المقاصدُ في اللُّغة:**

المقاصدُ مَفاعل واحدها (مَقْصِدٌ)، قال ابنُ فارس (ت: ٣٩٥هـ ): " القاف والصَّاد والدّال أصول ثلاثية يدلُّ أحدهما على إتيان شيءٍ وأمَّهِ، والآخر على كسرٍ وإنكسار، والآخر على اكتناز في الشيء، فالأصلُ : قصدته قصداً ومقصداً، ومن الباب: أقصده السَّهم إذا أصابه " (ابن فارس، 1299ه - 1979م).

**ثانياً : المقاصد في الاصطلاح**

المقاصدُ هي: " بيانُ مصالحِ الطاعات والمعاملات وسائر التصرفات لسعي العباد في تحصيلها، وبيان مصالح المخالفات ليسعى في درئها، وبيان مصالح العبادات؛ وما يُؤخذ من بعضِ المفاسد على بعض ... والشريعةُ كلُّها مصالحُ إمَّا تدرأ مفاسدَ أو تجلب مصالح" (ابن عبد السلام، د. ت)

وقد أبرقَ علماءُ المسلمينَ بمجموعة من التعابير والمصطلحات التي تشي اليوم بمقاصدِ القرآن، مثل الحِكم والأغراض والأسرار والعلل والمصالح ومراد الشَّارع والأهداف والغايات (حمادي، 1429ه-2009م).

**المطلب الأول: المقاصد الإلهية التوحيدية:**

يعتبر التوحيد أول المقاصد العامّة التي نقف عندها؛ وذلك لأهميتها ولارتباط كل المقاصد بها، فهي تُعدّ ضابطة لكل المقاصد الأخرى، فبدون المقصد التوحيدي لا تتحقق بقية المقاصد، وقد أكد القرآن الكريم على أهمية التوحيد في حياة الإنسان، ولقد كان الشغل الشاغل لجميع الأنبياء والكتب السماوية، لبيان أن الله هو الإله الحقّ المنزه عن سائر صفات المخلوقين، قال تعالى: ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ** ﴾ (سورة البقرة، 213)، فهذه الآية ذكرت الغاية والحكمة من إرسال الرسل، وهي إنقاذ الناس من الكفر والضلال ومن عبادة الأصنام، فأرسل الله تعالى إليهم الرسل ليبشرهم برسالة التوحيد وطاعة الله فهي النور والسراج المبين الذي يستضيئون به" والمراد من كون الناس أُمة تدلُّ على أنَّ جميع الأمم واقعة في الكفر والضلال وأنّ بعثة الرسل تقع لأجل إزالة الكفر والضلال الذي يحدثُ في قرون الجهالة " (التونسي، 1404ه- 1984م).

أول المقاصد القرآنية الكبرى التي تلقانا في خطاب الزهراء (عليها السلام) المقصد التوحيدي، وهو أمر بدَهي لمعرفتها بربّها وقربها من الذات الإلهية، وهو مانتلمسه في خطاباتها كلّها، وندرك دعاءَها العظيم المعروف بدعاء النور الذي يُعدُّ أنشودةً في المناجاة الإلهية التوحيدية، قالت ( عليها السلام) : " بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نورٌ على نور بسم الله الذي هو مدبر الأمور ، بسم الله الذي خلق النور من النور، الحمد لله الذي خلق النور من النور، وأنزل النور على الطور في كتاب مسطور ، في رقٍ منشور ، بقدر مقدور على نبيٍ محبور ، الحمد لله الذي هو بالعز مذكور وبالفخر مشهور وعلى السراء والضرّاء مشكور وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين" (المجلسي م.)

ويتجلى هذا المقصد العظيم في مستهل خطبتها الفدكية إذ تجعل الشهادة كلمه الإخلاص للخالق العظيم، والخلاص من الشرك، قالت (عليها السلام) : " وأشهد أنْ لا له إلّا الله وحده لاشريك له كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها وأنّى في الفكر معقولها" (المفيد، 1414ه) . (البغدادي، د. ت)

ويتجلى المقصد القرآني التوحيدي المتعلق بعلم الله تعالى وإحاطته بحوادث الدهور، قولها ( (عليه السلام) : " علماً من الله عزّ وجلّ بمآيل الأمور وإحاطةً بحوادث الدهور ومعرفةً بمواضع المقدور ابتعثه الله تعالى عزَّ وجلّ إتماماً لأمره وعزيمة على إمضاء حكمه " (المفيد، 1414ه)، (البغدادي، د. ت)وحاصل قولها (عليه السلام) : إنّه لمّا كان الله تعالى قد عَلِمَ بعواقب الأمور وحوادث الدهور علما أن محمداً (ﷺ) وهو اللائق للاختيار والاصطفاء دون غيره، قوله تعالى: ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ (سورة القصص، 68) .

وقد أكد القرآن الكريم في أكثر من موضع رفض الآلهة المتعددة بشدة، والاستدلال على عبادة الله سبحانه وتعالى، فقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ (سورة الانبياء، 22)، وقال تعالى: ﴿ **أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ (سورة الطور، 43)، لذلك استعمل القرآن الكريم أسلوب الاستدلال

بوجود حادث على وجود علّته بحيث يستلزم العلم بوجوده؛ وذلك للدلالة على وحدانية الله؛" لأنَّ تعدد الآلهة يستدعي فساد الكون، وحيث لا فساد في فلا تعدد، وبتعبير أهل المنطق أنّ نفي اللازم وهو فساد الكون يدلّ على نفي الملزوم وهو تعدد الآلهة " (مغنية، 1981) .

إنَّ هذه الآيات السابقة التي ذكرها القرآن الكريم قد ثبتت في أذهان الناس الغاية من الوحدة الإلهية، وتوجيه العباد إليها عن طريق البرهان والاستدلال.

وجعل ابن عاشور إصلاح الاعتقاد وتعليم العقائد الصحيحة من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى إصلاح الخلق؛ لأنَّه يزيل عن النفس عادة الإذعان والخضوع لغير الله تعالى يزيل الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهريَّة وما بينهما (التونسي، 1404ه- 1984م).

وبذلك فقد قيل : إنَّ الواحد الذي تجتمع عليه الألسن بالوحدانية وليسَ له شبهٌ في الأشياء فهو أحدي المعنى لا ينقسم في عقلٍ أو وجود (الصدوق، 1422ه)، قال تعالى: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ (سورة العنكبوت، 61).

ومن الثابت أنَّ القصص القرآني كان الهدف منها غرس عقيدة التوحيد ويدعو إلى التصديق برسالة النبي محمد (ﷺ) ورسالات الأنبياء السابقين، حتى يدرك المؤمنون أنّ الهدف من هذه القصص هو معرفة منهج الحقّ ويتعودوا على الصبر والتحمل من أجل إعلاء كلمة الله تعالى ونؤمن بوجوده عقلاً (نقرة ، 1971)، ولذلك نجد من خلال خلال القصَّة القرآنية أنّ كل الشرائع السماوية قامت على إثبات عقيدة التوحيد، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ (سورة الانبياء، 25).

وفيما يأتي بيان لدور القصص في عقيدة التوحيد وفي مقدمة هذه القصص، قِصة نبي الله إبراهيم (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا وَالِهَةً إِنِّي أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ (سورة الانعام، 74) .

فقد كان لنبي الله إبراهيم (عليه السلام) دَلالات عديدة في إثبات عقيدة التوحيد والردّ على المخالفين وإبطال مبدأ الشرك والأنداد بالله (الرازي، 1401ه - 1981م) ، كما في الآية الكريمة أعلاه وفي موضع آخر، قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا** ﴾ (سورة مريم، 42)، وهنا كانت مناظرتهِ لأبيه في عبادة الأصنام التي لاتنفع شيئاً وهذا دليلٌ في إثبات عقيدة التوحيد.

وبيّن نبي الله إبراهيم مناظرته لقومه في دعوة التوحيد، قال تعالى: ﴿ **وإبراهيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ (سورة العنكبوت، 16 - 17)

اذا قال إبراهيم لقومه : "اعبدوا اللَّه دون غيره من الأصنام والأوثان فليسَ هناك إلهٌ غيرهُ، واتقوه بأداء الفرائض واجتناب المعاصي، فإنّما تعبدون من دون الله أوثاناً وتصنعون الكذب والباطل، فإنّ هذه الأصنام التي تعبدونها وتقدسونها لا تستطيع أن ترزقكم شيئاً فالتمسوا الرزق من اللَّه الواحد واعبدوه وحدهُ لاشريك له واشكروه على نعمائه (الطبري، 1422ه)

ومن خلال عرض هذه الآيات نجد أنّ في قصة النبي إبراهيم (عليه السلام) قد اعتمد أسلوب الحوار والجدال المبني على أسس سليمة ومقنعة تتمثل بالهدوء والاتزان، واستند إلى أدلةٍ وحجج ثابتة استطاع من خلالها إثبات صحة معتقده من خلال حواره مع أبيه وحواره مع قومه، واستطاع أنْ يقنع الجميع بمبادئه الصحيحة وحُججهِ الدامغة، ولم يكتف بالحوار وطرح الأدلة فقط، وإنّما قام في العمد إلى الفصل بتحطيم أصنامهم دون أن يداخله الخوف أو التردد، فكان في دعوته إلى التوحيد مثل انتفاضة الحق ضد عروش الظلم والباطل.

وكذلك نجد أنّ عقيدة التوحيد قد أثبتها خاتم الأنبياء والمرسلين النبي محمد (ﷺ) في دعوته للإسلام و توحيد الأسماء والصفات وإخلاص العبادةِ الله تعالى، وقد شغلت أغلب آيات القرآن الكريم بشكل واضح وجلي، حيث أنّ رسول الله قد بذل غاية الجهد في تقرير عقيدة التوحيد واثباتها بالعبادة والطاعة، فمن الواضح أن الرسول الأكرم قضى ثلاثًا وعشرين سنة في الدعوة إلى دين الحقِ، وكانَ خلال هذه الفترة يسعى إلى تحقيقِ معنى عبارة (لا إله إلّا الله)، كما قاتل من أجل إحقاق الحقّ وتثبيت عقيدة التوحيد (عبد القادر، 1433ه)

وهذا ما نصّت ودلّت عليه الكثير من النصوص القرآنيةِ إن لم يكن أغلبها كما في أمر الله تعالى لنبيه محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، قال تعالى: ﴿ **يَأَيُّهَا الْمُدَّثِرُ قُم فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**﴾ (سورة المدثر، 1 - 5) .

فورد في هذه الآيات أمرُ تعالى لرسوله بشكل واضح إلى أنْ يُنذر الناس بنبذ الشرك وعبادة الأصنام والتطهر من الذنوب وهجر ما هم عليه من ارتكاب المعاصي، كما في سورة الإخلاص قال تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ (سورة الاخلاص، 1 - 4) .

يذكر صاحب الميزان أن استعمال لفظ ﴿**هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ في صورة الإثبات من غير تقييد تُثبتُ هويته تعالى ووجوده في دفع فرضية مماثلته تعالى لثانٍ في هذه الهوية بشكل عام سواء كان واحداً أو كثيراً فهذه المماثلة أمرٌ محال، وبوصفهِ ﴿**الصَّمَدُ**﴾ الذي لا جوف له ولا مكان خال، وبأنّه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فهذه أوصافٌ تستلزم الوحدانية والانعزال (الطباطبائي، 1997م)، ومن خلال التركيز في كل رسالةٍ من رسالات الأنبياء (عليهم السلام) نجد أنّ هناك أمراً مشتركاً بينهما، وهو تعبد الناس كلهم لله تعالى أي أنّ العبودية لله وحده، ونَزعِ السلطانِ من الطواغيت التي تدعيه (قطب، 1423ه- 2003م)

وخلاصة الكلام أن الاعتقاد في التوحيد يتمثل في توحيد ذاتهِ من حيث وجوب وجوده، وتوحيد صفاته فهي عينُ ذاته كالعلم والقدرة وغير ذلك، كذلك توحيده في العبادة من غير مشترك، وقد يتخذ الشرك صوراً متعددةً قد تكون خفيةً كالرياء، فعمل المرائي كعمل من يعبد الوثن لا فرق بينهما (المظفر، 1422ه).

**المطلب الثاني: المقاصد الإلهية بالتفكر في خلق الكون**

خلق الله الإنسان وجعل له الكون بسعته تحت تصرفه، يسرح فيه كيف يشاء حسب حاجته الفطرية، ومدّه بشتى الوسائل وجعله ثمرة خلقه، فأصبحت له أهمية عظمى وقيمة عالية مقارنة بسائر المخلوقات، فظهر بذلك أنهّ هو المقصود من حكمة خلق الكائنات، وأنهّ هو النتيجة العظمى، وثمرتها النفيسة، فنالَ شرف خليفة الله في أرضه.

فأنّ القصد من خلق الله تعالى الكون، " لكي يرينا كيف تعمل قدرة الله وتقديره في المخلوقات، ويكشف لنا أسرار الخلق والتكوين، ويهدينا إلى الحكمة من الخلق والإيجاد والإنشاء، ويبيّن عظيم النعم التي حبانا الله بها في ذوات أنفسنا، وفي الكون من حولنا " (الاشقر) .

إن الأمر بالتدبر في كتاب الله مذكور في آيات كثيرة (الغزالي، د.ت)، وهل ينبغي للمرء أن يتأمل في الآيات المقروءة، والآيات الموجودة، وصلوات الله، وطريق الأنبياء وأهل البيت؟ ونتائجهما اثنان من تلك الفرق أو التفكير في الدنيا والآخرة أو غير ذلك..

ويجب الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى من خلال النظر بذلك النظام السائد في جوانب الكون، وذلك بوجود القوانين المنظمة والنواميس الدقيقة التي تحكم كل ذرة من ذراته (هادي ، 1414ه) ، كما قال تعالى: ﴿ **خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ (سورة العنكبوت، 44) .

قد بيّنت الآية أنّ "المقصود من خلقهما أنْ تكونا مساكن عباده، ومواضع إفاضة الخير، ودلال على ذاته وصفاته" (الكاشاني، 1423ه)، وأيضاً " ليعلم الذين يجادلون في إبطال آياتنا ما لهم من ملجأ يلجئون إليه (الطهراني، 1337ه) .

وبتدبر القرآن الكريم تحصل معرفة الله تعالى، ومعرفة عظيم سلطانه وقدرته، بدليل قوله تعالى: ﴿ **قُلِ أَنظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ (سورة يونس، 101) .

ابن كثير (العسقلاني م. النجوم والشمس والقمر يستبدل بالليل والقمر ويفصل بينهم ويدخل بعضهم في بعض حتى يطول هذا وهذا يقصر ثم هذا ينقسم) بهذا المقام مرتفع وطول السماء وعرضها وجمالها وزخارفها والمطر الذي أرسله الله منها وملأ الأرض به بعد وفاته وأنبتت الكثير من الفواكه والزروع والزهور والنباتات. أنواع وأصناف النباتات والمواسم المنتجة بداخلها على اختلاف أشكالها وألوانها واهتماماتها وما يحدث في تلك الجبال والسهول والصحاري والهياكل والصحاري، ما يحدث في البحر من عجائب وأمواج و. ثم إن هذا استسلام يخجل فيه الركاب والإبل في سفنهم، ويمرون بينهم ببطء مستسلمين لله تعالى لا إله إلا هو. ، ولا ربّ سواه وقوله: ﴿ **وَمَا تُغْنِي الايتُ والنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (سورة يونس، 101) أي وأيّ شيء تُجدي الآيات السماوية والأرضية، والرسل بآياتها وحجمها وبراهينها الدالة على صدقها عن قوم لايؤمنون، كقوله: ﴿ **إِن الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءايَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**﴾ (سورة يونس، الصفحات 96-97) (القرشي، 1419ه) .

فهذه الآية وغيرها تدعو إلى الأخذ بأسباب العلم والإيمان، ومنها: المشاهدة والتأمل والتفكر في هذه المخلوقات العظيمة والتفكر بهذا الكون الشاسع.

وأخذ : " القرآن من الآيات الكونية مادة يناقش بها المشركين، ويقيم بها الحجة عليهم .... ويبيّن لهم فساد معتقداتهم في معبوداتهم، فهي لا تملك صفات الربوبية والألوهية، التي تستحق أن تعبد بها ، وتتخذ آلهة من دون الله (الاشقر)

فالتفكر في خلق الله تعالى يزيد الإيمان في القلب ويقويه ويرسخ اليقين، ويجلب الخشية الله تعالى وتعظيمه، وكلّما كان الإنسان أكثر تفكيراً وتأملاً في خلق الله، وأكثر علماً بالله تعالى وعظمته كان أعظم خشيةً لله تعالى، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمٰؤا** ﴾ (سورة فاطر، 28)

قال ابن سعدي (القاضي، د. ت): " التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين" (السعدي، 1423ه-2002م)؛ ولكن ليس كل أحد يعتبر ويتفكر ، وليس كل من تفكر أدرك المعنى المقصود (السعدي، 1423ه- 2002م)

ولأهمية التفكر في آيات الله الكونية نجد أنّ الله - تعالى - قد أقسم ببعضها تنبيهاً لأهميتها ونظامها وبديع صنعتها، والحكمة والغاية من ذلك إثبات وجوده (شحاته، د. ت) .

قال ابن القيم: وأحياناً بسبب الخلاف بينهم، يقتضي ذلك ملكه وقدرته واختياره ووجود جميع الكائنات خاضعة لإرادته، فاختلاف أعماله وأفعاله من آياته الكبرى. إنها سلطانه وحكمته.(السيفزيه، العاصمة).- بالإضافة إلى قراره السابق بشأن كمال القدرة في خلق النجوم والألوهية والبعث وما أشبه ذلك من مظاهر الذكاء، فقد أنزل الله شريعة خاصة للكون في بعض الآيات. ، قال تعالى: ﴿ **وَعَلَٰمٰتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾ (سورة النحل، 16)، وقال تعالى: ﴿ **ولقد زينا السَّمَاءَ الدُّنْيا بِمَصَٰبِيحَ وجعلتها رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السعير**﴾ (سورة الملك، 5).

فإنّ ممّا يثبت عقيدة المؤمن أن يريه الله بعض آياته الكونية، وقد سأل نبي الله إبراهيم (عليه السلام) ربّه أن يريه آية من آياته الكونية، يريد أن يطمئن قلبه بها، كما أخبر الله عنه : قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَٰكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عزيز حكيمَ**﴾ (سورة البقرة، 260) .

فالمسألة هنا أنّ النبي إبراهيم (عليه السلام) ، لم تعرض من جهة شك، لكن من قبل زيادة العلم، فإنّ العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة مالايفيد الاستدلال، وتوارد الأدلة اليقينية ممّا يزداد به الإيمان ويكمل به الإيقان (الخطابي، د. ت). وقال عن الحواريين: ﴿ **إِذْ قَالَ الحَوَارِيُونَ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا الله إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُونا**

**وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّٰهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّٰزِقِينَ﴾** (سورة المائدة، 112 - 114).

قال ابن كثير: " ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾إذا شاهدنا نزولها رزقاً لنا من السماء، ﴿ **وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا** ﴾أي ونزداد إيماناً بك وعلماً برسالتك، ﴿ **وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّٰهِدِينَ** ﴾ أي ونشهد أنّها آية من عند الله، ودلالة وحجة على نبوتك وصدق ما جئت وقوله: ﴿ **وَءَايَةً مِّنكَ** ﴾ أي دليلاً تنصبه على قدرتك على الأشياء، وعلى إجابتك دعوتي، فيصدقوني فيما أبلغه عنك" (القرشي، 1419ه)

**المطلب الثالث: المقاصد الإلهية بالتفكر في خلق الإنسان**

إنّ الخطاب القرآني تمحور حول الإنسان نشأةً ومصيراً، بدايةً ونهايةً، تشريفاً وتكليفاً، ثواباً ، وعقاباً حتى الحديث عن الكون وما فيه جاء مسخراً للإنسان لخدمته وطاعته، ابتداً من السماء التي فيها الشمس والقمر وانتهاءً إلى الأرض التي فيها معاشه وإليها مماته.

الإنسان مخلوق صالح عند الله تعالى. خلق آدم بيديه، ونفخ فيه من روحه، وجعله خليفته في الأرض تكريما له. الهدف والغرض من إرسال الرسول هو الإنسان. ، وبالنسبة في اختيار الأنبياء، وإنزال الصحف والكتب، هنا سوف يظهر التكريم الإلهي للإنسان في كثير من الآيات القرآنية وذلك بدليل قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي الْبَرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾** (سورة الاسراء، 70).

ونلحظ هذا المقصد التكريمي التشريفي في خطاب الزهراء (عليها السلام) حينما عرّفت بنفسها بأنّها ابنة النبي محمد (صلى الله عليه وآله)

شُرفت بالعصمة والمنعةِ لايصدر الغلط والشطط منها، وإنّ أباها شرّف بالاصطفاءِ والإرسالِ والنبوة والعصمةِ، قالت: " أيّها الناسُ! أعلموا إني فاطمة وأبّي محمد (صلى الله عليه وآله)، **أقولُ : عوداً وبدءاً ولا أقول: ما أقول: غلطاً ولا أفعلُ ما أفعلُ شططاً،**

﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (سورة التوبة، 128)، فإن تُعزّروه وتعرفوه تجدوه أبي دون نساءكم وأخا ابنِ عمّي دون رجالكم ، ولنعم المُعزَّى إليه (صلى الله عليه وآله) (المحمودي، 1429ه - 2008م) .

وأشارت (عليها السلام) إلى هذا التكريم الإلهي للإنسان حينما أرسل نبيه محمد (صلى الله عليه وآله)؛ ليهتدي، ثم السمو به إلى مراقي الصفاء والإيمان والإخلاص، وصيانتهِ من الخبائث والرذائل والقبائح ، قالت : " وقام في الناس بالهداية وأنقذهم من الغوايةِ، وبصّرهم من العمايةِ، وهداهم إلى الدين القويم ودعاهم إلى الطريق المستقيم" (المجلسي و المجلسي، 1381ه).

فالإنسان لا يستطيع أن يعلم الغاية والقصد من وجوده إلّا بتعرفه على أمرين رئيسن هما: معرفة الإنسان لحقيقته، ومعرفة الغاية من خلقهِ، وبذلك تتغير نظرة الإنسان للحياة، والمنهج الذي يسير عليه.

**وهناك عدّة أقوال للمفسرين لخلق الإنسان منها:**

قال الطبري : " ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ** ﴾ أي : من الأرض خلقناكم أيها الناس" (الطبري، 1422ه)، والخلق أصله الإيجاد على تقدير وتسوية وقد أطلق ذلك في القرآن الكريم وكلام على إيجاد الأشياء المعدومة، وإخراجها إلى الوجود إخراجاً لأ صفه فيه للبشر؛ فإنّ إيجاد البشر بصفتهم أشياء إنّما هو تصويرها بتركيب متفرق أجزاؤها، كصانع الخزف، وخصّ اسم الخالق به فلا يطلق على غيره، ولهذا كان من صفاته الكريمة للخالق.

وبذلك قد اختلف المفسرون في المراد بقوله ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ** ﴾ إلى عدة أقوال منها:

**القول الأول:** إنّ معنى خلق الناس من الأرض إنّه خلق أباهم آدم (عليه السلام) منها (الشافعي، 1419ه) (القرشي، 1419ه) (الاندلسي، د. ت)، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ (سورة آل عمران، 59)، فلمّا خلق أصلنا من التراب، ونحن أولاده منه – أي آدم (عليه السلام) وتبعاً له في الخلق، صدق عليهم أنهم خلقوا من تراب، فأطلق ذلك عليهم؛ لأنهّ أصلهم وهم فروعه (الشافعي، 1419ه) (الشوكاني ، 1428ه- 2007م).

**القول الثاني**: إنّ الله تعالى خلقنا من النطفة المتولدة في الأغذية المتولدة من الأرض بوسائط، فالغذاء إمّا حيواني أو نباتي والحيواني ينتهي إلى النبات، والنبات إنمّا يحدث من امتزاج الماء والتراب، فصحّ أنّه (ﷻ) خلقنا منها (الشافعي، 1419ه) (ابن حيان الاندلسي، 1413ه- 1993م)، وهذا لا ينافي كوننا مخلوقين من النطفة، ويدل الله عليه أنّهُ بيّن في عدة آيات أنّه خلقنا من تراب ثم من نطفة (الشافعي، 1419ه)، فيكون ذلك تنبيهاً على ما تولدت منها الأخلاط المتولد منها الإنسان (ابن حيان الاندلسي، 1413ه- 1993م)

**القول الثالث**: إنّ الملك الموكل بالرحم يأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه المولود، ويذره على النطفة ثم يدخلها في الرحم، فيخلق من التراب ومن النطفة (ابن حيان الاندلسي، 1413ه- 1993م) (الشافعي، 1419ه)؛ لدلالة ظاهر القرآن عليه (القرطبي، 1427ه - 2006م)، كما جاء في حديث النبي محمد (ﷺ) لما مرّ بقبر حبشي فقال : " لا إله إلّا الله ! سيق من أرضه وسمائه إلى تربته التي خلق منها " (البهيقي)

وقد أجيب عن القول الثالث بأنّ القرآن يدل على أنّ مرحلة النطفة بعد مرحلة التراب بدرجة، فهي غير مقارنة لها (الشنقطي، 1426ه)، بدليل قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ**﴾ (سورة غافر، 67)، وبالتالي فظاهر القرآن يخالف هذا القول ولايدل عليه كما قالوا .

الخاتمة

يمثل التوحيد الصحيح الرؤية الكونية للانسان الموحد، والرؤية الكونية تعطي الانسان التصور والشرح عن الكون والحياة ووجود الانسان ، ولاتتركه عرضة للرؤى الاخرى العدمية ، فهو من خلالها يمتلك المعنى للحياة ، حيث شغلت مسألة المعنى للحياة أفكار الفلاسفة وصدرت الكتب بهذا الموضوع ، وايضاً كون التوحيد يشكل المعنى للانسان ان الكون والوجود لم يأتي صدفة بل هو معلول ومخلوق لرب واحد فتسري هذه النظرة الى حياته كلها فيعيش ويتناغم مع الوجود على هذا الاساس .

النتائج

1/ أبان البحث أن رسالة إثبات وجود الله تعالى وهي من ملازمات التوحيد ، ومباحث العقل هي قضايا عقلية في الاصل الاول ، فصفة السمع والنقل تُنبئ عن الادلة العقلية ، وما ورد في النقل والسمع مخالفاً للعقل وأدلته لابد من تأويله بما ينسجم ويتوافق مع العقل وادلته .

2/ من خلال معاينة النصوص القرآنية والاستدلال والاستنباط أن النظرة العقلية والمنهج العقلاني هو المستنبط من القرآن الكريم ، فالعقل وتجلياته كان لها الحضور الوسيم في القرآن الكريم فقد أسس القرآن الكريم لمفهوم العقلِ وقواعده .

3/في ظل الوقوف على النص القرآني نلمح أن العقل لايستوعب اللامحدود ، بل يتعامل مع المحدود ويقبل الحقائق والثوابت ولايقبل الخرافة ، من هنا فإن المقاصد الالهية هي دفاع عن الحقائق .

4/ تناول القرآن لحقائق الكون ومشاهده ، ودعوته الى النظر في ملكوت السماوات والارض والانفس ، لإيراد منه الا مخاطبة العقول والفطرة البشرية ، وتوجيه عامة الناس وخاصتهم الى مكان العظة والعبرة .

**المصادر والمراجع**

القرآن الكريم
1 - ابن القيم، طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمره، دار ابن القيم، الدمام ، ط: 1.
2 - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ابن فارس، مقاييس اللغة، (ت: ٣٩٥هـ ) ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د .ط) ،١٢٩٩هـ - ١٩٧٩م.
3 - أبو حامد محمد الغزلي، إحياء علوم الدين - كتاب التفكر، تحقيق: محمد خير طعمة حلبي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط:١: 4 / 501.

4 - أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان المفيد، الأمالي، (ت: ٤١٣ هـ ) ، دار المفيد - بيروت، ط:٢، ١٤١٤، هـ /95.
5 - أبو محمد أحمد بن طيفور البغدادي، بلاغات النساء، (ت : ٣٨٠ ه) ، المكتبة بصيرتي، رقم / ٢٦.
6 - أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، اعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، تحقيق : محمد بن سعد آل سعود، جامعة أم القرى، مكة، ط:١.
7 - أبي عبد الله محمد بن بن احمد بن ابي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق : عبدالله بن عبد المحسن التركي ، بيروت - لبنان ،ط:١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
8 - أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ،المحرر الوجيز في تفسر الكتاب العزيز، (ت: ٥٤١ هـ)، تحقيق: عبد الله ابراهيم الأنصاري، الناشر: مؤسسة دار العلوم - الدوحة.
9 - إسماعيل بن كثير القرشي، تفسير القران العظيم، (ت: ٧٧٤هـ) ، تحقيق. محمد حسين شمس الدين ، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط:١، ١٤١٩ هـ.
10 - الامام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية - بيروت ،ط:١ ،١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
11 - البيهقي في شعب الإيمان، باب (الصبر على المصائب وعما تنزع إليه النفس من لذة وشهوة)، رقم الحديث: (٩٨٩١) : ٧ / ١٧٣.
12 - تأليف مجموعة من الباحثين بإشراف علوي عبد القادر الموسوعة العقدية كتاب ( مقدمات في علم العقيدة والتوحيد) ، الناشر: موقع الدرر السُنية على الانترنت ثم تحميله ، ١٤٣٣هـ : ١/٣٦-٣٧.
13 - التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن (رسالة دكتوراه)، جامعة الجزائر - ١٩٧١، الشركة التونسية للتوزيع/550.
14 - جعفر هادي، الله خالق الكون، قم - إيران، مؤسسة الأمام الصادق ( عليه السلام) ، ط:٢، ١٤٢٤ هـ / ١٦٧ .
15 - سيد علي الحائري الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، (ت: ١٣٥٣ ه)، طهران، الشيخ محمد الأخوندي مدير دار الكتب الإسلامية ، ١٣٣٧هـ.
16 - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق القاهرة ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
17 - الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، التوحيد ،تصحيح وتعليق : السيد هاشم الحسيني الطهراني مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، إيران ، ط: ٧ ،١٤٢٢ هـ.
18 - الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م : 1 /412 ، 2 / 122.
19 - عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا، بيروت - لبنان ، ط:١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.
20 - عبد الكريم حامدي، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام ، مطبعة ابن حزم، بيروت، ط:٢ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٩ م .
21 - عبد الله شحاته، آيات الله في الكون، دار النهضة مصره القاهرة ، ط٥ .
22 - عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، قواعد الأحكام من مصالح الأنام، (ت: ٦٦٠هـ) ، تحقيق: مزيه كمال حماد ، دار القلم ، دمشق.
23 - العلامة المجلسي - المولى محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم )، (ت: 111 هـ ) ، الناشر: وزارة الارشاد الاسلامي، باب ٤، ذيل ٧ .
24 - عمر سليمان الأشقر، الأدلة على وجود الله تعالى،
25 - محمد الامين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، اضواء البيان، اشراف : بكر بن عبد الله ابو زيد، مؤسسة سليمان بن عبد العزيز ، دار عالم الفوائد، ط:١، ١٤٢٦هـ .
26 - محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، التفسير الكبير، (ت: ٦٠٤ ه) ، دار الفكر للطباعة لبنان - بيروت، ط:١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

27 - محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير (ت: ١٣٩٣ هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر تونس، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م : ١٣/٠٤٥
28 - محمد باقر المجلسي، الزهراء (عليها السلام) وخطبة فدك ، (ت: ١١١١هـ)، تعليق : محمد تقي شريعتمداري ، دار كلستان كوثر، ط:١، ١٣٨١ هـ .
29 - محمد بن حرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن ،(ت : ٣١٠ ه )، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، ط:١، ١٤٢٢هـ.
30 - محمد بن علي الشوكاني، فتح الغدير، (ت : ١٢٥٠هـ)، راجع أصوله : يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت ، ط:٤، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.
31 - محمد بن يوسف ابن حيان الاندلسي، تفسير البحر المحيط، (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد يعوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط:١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م .
32 - محمد جواد المحمودي، خطب سيدة بنساء العالمين (عليها السلام) مصادرها و اسانيدها، مطبعة فخراوي ، البحرين ، ط: ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
33 - محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط:٣، ١٩٨١م.
34 - محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، ط:١، ١٩٩٧م.
35 - محمد رضا المظفرات، عقائد الإمامية (ت: ١٣٨٣هـ)، مركز الأبحاث العقائدية - قم المقدسة ، ١٤٢٢هـ /28-29.
36 - الملا فتح الله الكاشاني، زبدة التفسير، (ت : ٩٨٨ ه) المحقق: مؤسسة المعارف، قم - غيران، مؤسسة المعارف الاسلامية ، ط: ١، ١٤٢٣هـ : 5 / 229.